بسم الله الرحمن الرحيم

الدّرس الأوّل

مِن مَتن حِلية طالِب العِلم

شرح فضيلة الشّيخ/ عبدالسّلام الحصيّن؛
حفظه اللّه تعالى.

معهد العُلوم الشّرعية العالميّ - مُلتقى طالباتِ العِلم
مُحرّم / 1436 هـ.

تفريغ اللقاء الأول من مادة حلية طالب العلم

تفريغ الأختان :

أم الهمّام المسلمة – منتقبة مسلمة

معهد العلوم الشرعية العالمي

بسمِ اللهِ الرّحمن الرّحيم

الحمد لله ربِّ العالمين و الصّلاة و السّلام على نبيِّنا محمد و على آله و صحبه أجمعِين ،

أمّا بعد فإنّنا نحمد الله جلّ و علا أن وفَّقنا لسلوكِ طريقِ العلم الذي يرفعُ الله أهلهُ كما قال تعالى { يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ } [المجادلة: ١١] و نسألهُ بِمنِّه و كرمِه أن يثبِّتَنا على صراطِه المُستقيم و أن يوفِّقنا لِسلوك هذا الصِّراط و أن يهدينا إليه و أن يُجنِّبنا طريقَ المغضُوبِ عليهِم و الضّالين إنَّهُ سميعٌ مُجيب .

نبتدِأُ هذا الدّرس في حِلية طالب العلم الذي يكون مُقَدِّمة بين يديّ الدّراسة للعلوم الشرعيّة وهذا كان من دأبِ أهل العِلم قديما فإنّهم يحرصون علَى أن يكون طَالِب العلم متأدِّبًا بآداب هي مُشترَكة لكنّها تكونُ أخصّ بالنِّسبة لمن سلكَ هذا العِلم الشّرعي و بعضُها تختصّ بطالب العلم الشّرعي الذي يُريدُ أن يتعلَّمَ كلام الله و كلام رسُولِه -صلّى الله عليه و على آله وسلّم.

و كُتُبُ أهل العِلم في هذا الباب كتب كثيرة ، بعضها طويل و بعضُها مختصر ممَّا يدُلُّ علَى حِرصِهم على هذا الباب و عنايتهم بهِ حتّى لا يكون طالِبُ العِلم عَرِيًّا من آدابِ الطّلب التي تحفظُه من الإنحراف عن مسالِك العِلم الشّرعي الصّحيح ،و من هذه الكتب كتاب الشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد -رحمنا الله و إيّاه- و الذي ألّفهُ سنة ١٤٠٨ للهِجرة و ذكر أنّ سبب تأليفِه ما لحِظَهُ من انتِشار الصحوة المباركة و كثرة الآمِّين لحلقِ العلم من الشّباب فأراد أن يضع بين أيدِيهم هذا الكتاب الذي يُلَخِّصُ فيه ما تفرّق في كُتُب أهل العلم ممّا ينبغي لطالب العلم أن يتحلّ به قبل الدّخولِ في هذا الباب العظيم من أبواب الخير والبركة والنفع .

و بما أنّ الكتاب فيه شيءٌ من الطّول و صعوبةِ الألفاظ فقد لخّصهُ بعضُ طلبةِ العلم تلخيصًا جيّدا و اطّلع الشيخ -رحمه الله – على هذا التلخيص و أقرّه ،وهو في الحقيقة تلخيصٌ جيّد مستوفٍ لأساسيات هذِه الحِلية و إنّما أعرض عنِ التّفاصيل التي قد لا يحتاجُ إليها الطّالب المبتدِئ ،وينبغي لطالب العلم أن لا يقتصِر على هذهِ الخُلاصة و أن ترتفِع همّتُهُ في قِراءة الأصل و الرّجوع إليه كلّما تيسّرَ لهُ ذلك ..

بدأ الشيخ أوّلاً بآداب الطالب في نفسِه و ذكَر عددًا من الآداب التي بعضها يُستحبّ و بعضُها واجِب ، وهو قد قسّم الأفعال في هذهِ الحِلية إلى أربعة أقسام: قسم واجب ، قسم مستحب ، قسم مكروه و قسم محرّم .

فالواجب والمستحبّ ينبغي لِطالِب العلم أن يتحلّ بهِ و المكروه و المحرّم ينبغي لطالب العلم الحذرُ منه . وبدأ بإوّلِ شيءٍ ينبغي لطالبِ العلم أن يحرِص عليه و هو:

أولا أن يكون العلمُ عبادة : قال –رحمه الله- "اعلم أيها الطالب المجد أن العلم عبادة؛ فلابد من إخلاص النية لله عز وجل لقوله سبحانه: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [البينة: ٥]،وقوله﴾: «إنما الأعمال بالنيات...»،وقال بعض العلماء: «العلم صلاة السر وعبادةُ القلبِ» .

وهذا العلمُ الذي يكونُ عبادة هو العلمُ الشّرعي و هو الذي يكونُ عبادةً بالذّات و الأصل و بالقصد الأوّل و أمّا ما عاداه من العلوم فإنّه يكون عبادةً بالتتبّع و بالقصدِ الثّاني ولا يعني ذلك التزهيد في العلوم الأخرى فإنّ العلوم الأخرى بعضُها قد يكون فرض كفاية تأثمُ الأمّةُ بِتركه و لكن مرادُنا الآن أنّ التعبُّد لله جلّ وعلَا بِالعلم الشّرعي هو بالذات بمعنى أنّ هذا العلمَ في ذاتِهِ عبادة وليس وسيلةً إلى عبادة ...هو وسيلة نعم ...لكن هو وسيلة و هو في ذاته عبادة بِخلاف العلوم الأخرى فإنّها لا تكونُ عبادةً إلّا بحسب نيّةِ صاحبها و لما كان هذا العلم يتعبّد يتعبّد به لله جلّ و علَا فإنّ أساس العبادة الإخلاصُ للهِ جلّ وعلا و لهذا قال "فاحذر منكل مايصيب نيتك في صدق الطلب؛كحب الظهور والتفوق على الأقران،أو جعل العلم سلمًا للحصول على جاهٍ،أو مالٍ،أو تعظيم،أو سمعة،أو صرف وجوه الناس إليك" هذه صوارف تصرف نيّة الإنسان عن طلب العلم مع أنّها قد لا تصرِفُه عن تحصيلِ العلم فإنّ حبّ الظهور و حبّ التفوّق على الأقران و البحث عن الجاه و المال و التعظيم و السّمعة قد تدفع صاحبها لبذل الجهد في طلب العلم لكن نيّته ليست صالحة ولا خالصة لله جلّ و علَا فهذا داء ينبغي أن يحذر منه و لهذا قال"وابذل الجهد في الإخلاص،وكن على خوف شديد من نواقضه؛فقد قال سفيان الثوري رحمه الله: «ما عالجتُ شيئًا أشد عليَّ من نيتي»"

وهذا التنبيه على الإخلاص يريدُ أن يشيرَ إلى أنّ الإخلاص في العلمِ قد يكون عزيزًا و صعبًا لكن كن أنت دائمًا على حذر و على خوف شديد من أن تقع في نواقض علم و يَستلِب قلبُك تمامًا، لايسلَمُ قلبُ إنسان من أمورَ تدخُلُ عليه فلا يسلم قلب أحد منّا في طلب العلم من أن ينظر إلى شيءٍ من هذه المطالب الدّنيويّة لكن إذا انصرفَ قلبُه تمامًا إليها هذا هو المرضُ المُميتُ القاتل و أمّا إذا كان قلبه في الأصل مُتوجّهًا إلى الله جلّ وعلَا مُريدًا بهذا العلم رفع الجهلِ عن نفسِه ووصوله إلى طريق الله جلّ وعلَا فإنّه في هذه الحالة لا يضُرُّه ما يعرض الله من العوارض إذا كانت مُجرّد عوارض تعين على الطلب فقط ولكنّها لا تستولي على قلبِه ولهذا قال سفيان الثوري – رحمه الله- "ماعالجت شيئًا أشد

عليَّ من نيتي" فصعبٌ في الحقيقة في باب العلم لأنّ العلم تدخُل فيه مثلُ هذه النّواقض الكثيرة و لهذا لمّا سئل الإمام أحمد (طلبت العلم لله قال الإخلاص عزيزٌ لكن شيءٌ حُبِّبَ إليّ في نفسي) و لهذا قال بعضُ أهل العلم " إنّ العبادة الوحيدة التي تجوزُ فيها اشتراطُ النّوايا هي العلم" فقد يطلبه الإنسانُ لذاته بمعنى أنّه يُحبّبُ إليه العلم فيقولون هذه نيّةٌ صالحة لأنّه كلّما تقدّم في العلم أصلح العلمُ نيّته فيكون العلمُ وسيلة لإصلاح النيّة ثمّ قال"ومع إخلاص النية فاعمر قلبك بمحبة الله ومحبة رسوله ﷺ؛ وذلك بمتابعته واقتفاء أثره؛ فقد قال تعالى:﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عمران: ٣١]" و هذه المحبّة لله و لرسوله أخصّ ما تكون في طالب العلم – لماذا؟- لأنّه في الحقيقة يتعلّم كلامُ الله تبارك وتعالى وكلام رسوله عليه الصلاة و السّلام ، فلا بدّ أن يُلاحظ هذا الباب و أن يلاحظ أيضا أسباب المحبّة يعني لا يجعل محبّته لله و رسوله ﷺ مجرّد تقليد ولكن ليبحث عن الأسباب التي توجب محبّة الله و محبّة رسوله ﷺ، فيزداد قلبُه محبّة لله جلّ و علَا عن علم لا عن جهل ثُمّ قال – رحمنا الله و إيّاه- .

ثانيًا كن على جادة السلف الصالح: وهم الصحابة والتابعون وتابعو التابعين فمن بعدهم ممن قفا أثرهم في جميع أمور الدين، وهؤلاء هم أهل السنة والجماعة ؛ فكن متميزًا بالتزام آثار رسول الله ﷺ وترك الجدال والمراء والخوض في علم الكلام، وما يجلب الآثام ويصد عن الشرع" السّلفُ الصّالح مصطلح حادث بعد الصّحابة و التّابعين أي القرون المفضّلة ثمّ صار يطلق بالمعنى الإصطلاحي على كل من سار على منهجهم و لو كان من الخلف فمثلًا بن تيمية يُقالُ فيه من السّلف مع أنّه مات في القرن الثامن فمصطلح السّلف بمعنى خاص يرادُ به الصّحابة و التّابعون و تابعي تابعيهم هم هم القرون المفضّلة و يرادُ بمصطلح عام ما بيّنه المؤلّف في قوله "ممن قفا أثرهم في جميع أمور الدين" فكلّ من قفا أثر الصحابة و التّابعين و تابعيهم فهو سلف في هذا وذكر اسمهم و هو أنّهم أهل السنّة والجماعة فلهم اسمان إسمٌ خاصّ وهو السّلف و اسم عام و هو أهل السنّة و الجماعة ،لأنّه قد يتسمّى بهذا الإسم من ليس من السّلف و يسمون أنفسهم أهل السّة و الجماعة لكن أهل السنّة و

الجماعة حقيقة هو السّلف الصالح و هذا الإسم لا يختص بفرد من النّاس و إنّما له معالم و أسس و قواعد من سار عليها فهو من السّلف و من حاد عنها فهو ليس من السّلف لأنّ الحق أيّها الأخوات لا يعرفُ بالرّجال الحق يُعرف بذاته و أمّا الرّجال فيعرفون بالحق ، أمّا الحق فلا يعرف بالرّجال، وقد يكون الرّجل متابعًا للسلف في أكثر أحواله و قد يخالفهم في بعض الأحوال فهو على ما غلب عليه ،إذا غلب عليه المتابعة فلا يضرّه في هذه الحالة وقوع المخالفة فإنّ الإنسان لا يسلم من شيءٍ منَ المخالفة و قد يوافق السّلف في شيءٍ و يُخالفهم في آخر فيكون سلفيّا في جهة ما وافقهم ولا يكون سلفيّا من جهة ما خالفهم فيه و إذا ترتّب على هذا المصطلح في الحقيقة إشكال أنّه مثلا قد تشوّه سمعة من يُنتَسَبُ إلى هذا المبدأ أو يَنتَسِبُ إليه من ليس من أهله مثل ما يسمِّي حزبُ الله و هو ليس حِزبًا لله جلّ و علا و إنّما تسمّى بهذا الإسم إيهامًا للنّاس مثل ما سمّى الكفّار أصنامهم آلهة و هي ليست بآلهة و إنّما هي أسماء سمُّوها، فكذلك بعضُ النّاس يدخل يتسمّى بهذا الإسم و ليس فيه من السّلف شيء، فإذا كان هذا المصطلح يسبّب إشكالا فإننا نعود إلى المصطلح العام و هو أهل السنّة و الجماعة أو نعود للمصطلح و هو الإسلام نفسه ولكن هذا في الحقيقة لا يقال إلّا عندما يقع إشكال في الإنتساب للسلف الصّالح بمعنى أنا لمّا أقول يقع إشكال يعني (انتبهوا لهذه الكلمة بمعنى أنّه) يلتبس في أذهان النّاس معنى السّلف و لا يفهمونه فأنت لو انتسبت إلى السّلف و سمّيت نفسك سلفيًّا ربّما يكون فيه ضرر عليك أو إساءة إلى علمك بسبب ما أسيء إلى السّلف فأنت أوّلا تبدأ بتصحيح المفهوم عند النّاس ثمّ بعد ذلك لا بأس بالإنتساب له . ولا أعلم أنّه من السنّة أن ينتسب الإنسان إلى هذا المصطلح فيقول أنا سلفي و إن قال بعض أهل العلم بذلك لاشكّ قد يكون لهم رأيهم لكن الأئمة الكبار لا يعلم أنّهم سمُّو أنفسهم بهذا الإسم وعدم تسميتهم بهذا الإسم لا يعني أنّ الإنتساب إليه غير صحيح ...لا ... ولكن قد يحدث أسماء يكون الإنتساب إليها مميزًا للإنسان بحيثُ يترتّب عليه أنّه على الجادّة مثل مصطلح أهل السنّة و الجماعة فهو مصطلح حدث في القرن الثاني للهجرة تقريبا و مع ذلك فهو مصطلح شرعي لا إشكال فيه و المقصود أنّ الإنسان لا تضرّه المصطلحات فقد تجد مثلا أناس من أهل البدعة يسمُّون

أنفُسهم أهل السنّة و الجماعة و تجد أناسًا مبتدعين و مع ذلك يسمّون أنفسهم السّلف الصّالح والعبرة هي بحقائق الأشياء لا بأسمائها ولهذا نبّه الشيخ -رحمنا الله و إيّاه- على هذا بقوله "فكن متميزًا بالتزام آثار رسول الله ﷺ" هذا هو المظهر الأوّل من مظاهر السلفيّة أن تتبع سنّة النبي ﷺ، المظهر الثاني قوله"وترك الجدال والمراء والخوض في علم الكلام" و إنّما خصّ هذا لأنّه يقسّي القلب و يصدّ عن دين الله جلّ وعلَا و يصدّ عن كتاب الله و سنّة رسوله ﷺ ومثل هذا ما يوجد الآن في زماننا من الخوض في الفتن و ما يقع للنّاس ممّا لا يحيط الإنسان بعلمه فينبغي للإنسان أن ينشغل بالعلم النّافع في نفسه وفي مجتمعه فإنّ المراء يؤثّر على القلب و يفسده ،فينبغي لنا أن نحذر من هذا الدّاء.وكذلك قال "وما يجلب الآثام ويصد عن الشرع"، كلّ شيءٍ يجلب لك الإثم و يصُدّ عن الشّرع ينبغي أن تحذر منه فهو على غير جادّة السّلف و لهذا كان التّابعون و تابعوا تابعيهم يوصون أتباعهم بالإبتعاد عن مواطن الفتن سواءًا فتن متعلّقة بالأبدان أو فتن متعلّقة بالأهواء لأنّ الإنسان قد يصيبُه شيءٌ من ذلكَ فيضُرُّ قلبهُ و دينهُ .ثمّ قال :

ثالثًا الزم خشية الله: هذا هو المظهر الثالث أو الأدب الثالث الذي ينبغي لطالب العلم أن يتحلّ به و هو خشية الله و قد قال تعالى ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾

قال –رحمه الله –"عليك بعمارة ظاهرك وباطنك بخشية الله تعالى؛ محافظًا على شعائر الإسلام، وإظهار السنة ونشرها بالعمل بها والدعوة إليها؛ فكن دالاً على الله بعلمك وسمتك وعملك، واعلم أن أصل العلم خشية الله تعالى-كما قال الإمام أحمد – فالزمها في السر والعلن؛ فإن خير البرية من يخشى الله تعالى، وما يخشاه إلا عالم، والعالم لا يعد عالمًا إلا إذا كان عاملاً، ولا يعمل العالم بعلمه إلا إذا لزمته خشية الله، وقد قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «هتف العلم بالعمل فإن أجابه وإلا ارتحل»"الشيخ هنا رحمه الله يقرن بين باطن الإنسان و ظاهره ،فباطن الإنسان الخشية من الله جلّ و علَا و هي في الأصل في القلب و أكثر ما تظهر به في الحقيقة إذا صار الإنسان وحيدًا بينه و بين الله جلّ وعلَا

يظهر عليه أثر الخشية و الخوف من الله تبارك وتعالى فيما يعرض له من شهوات أو شبهات .وهذه الخشية التي أصلها في القلب لها آثار في الظاهر تدلّ عليها ذكر منها الشيخ المحافظة على شعائر الإسلام فهي من آثار الخشية و آثارها إظهار السنّة و نشرها و العمل بها و الدّعوة إليها ، إظهار السنّة في ذات الإنسان في نفسه يظهرها تطبيقًا في ذاته و هذا يسمّى دعوة عمليّة بمعنى يدعوا إليها عملا لالتزامه بها و يدعوا إليها كلامًا بأن يجادل عنها و يناظر ويدعو إليها بالحكمة والموعظة الحسنة ولهذا قال الشيخ كن داعيا إلى الله أو دالاً عليه بعملك وسمتك وعملك فالإنسان يكون داعياً بعلمه وسمته وعمله

والسمت هدي الإنسان الظاهر فى حركته في مشيته في قيامه وقعوده وفى شربه وأكله في تعامله مع الناس هذا هو سمت الإنسان. وأما عمله فهو ما يتعلق بعبادته والحرص على تطبيق الأوامر الشرعية.

فهذه الأمور الثلاثة إذا طبقها الإنسان على وجهها كان فى الحقيقة داعياً إلى الله جل وعلا ودالاً عليه وهذه الخشية هي أصل العلم وهى ثمر العمل وإذا لم يعقب العلم عمل فإن العلم فى هذه الحالة يرتحل عن صاحبه كما قال على رضي الله عنه : "هتف العلم بالعمل فإن أجابه إلا إرتحل" ولا يعنى ذلك أنه يلزمك أن تعمل بكل شئ ولكن بقدر ما تستطيع كلما تعلمت شيئا تعمل به .ولا تكن متعلما لذات العلم فقط. فإن قال قائل العلم كثير والعمل أضعف من أن يقوم الإنسان بكل ما تعلم فنقول كل ما تيسر لك عمله فاعمل به بحسب طاقتك ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها. وأيضا لا يعنى ذلك أنك تمتنع عن العلم مخافة إلا تعمل .فهذا من وساوس الشيطان بل تعلم وأسأل الله تبارك وتعالى أن يوفقك للعمل بما تعلمت. والعلم يقود في الحقيقة إلى الخشية وإلى أن يعمل الإنسان بما تعلم.

رابعا دوام المراقبة: النقطة الرابعة أو الخلق الرابع هو دوام المراقبة ،والمراقبة عبادة عظيمة من العبادات التي ينبغي للإنسان أن يحرص عليها وهى لطالب العلم أخص والمراقبة تختلف عن المشاهدة وهى ما قال النبي صلى الله عليه وسلم"فإن لم تكن تراه فإنه يراك " فهذه هي المراقبة أما المشاهدة فهي أن ترى الله تبارك وتعالى في كل حال من أحوالك وتشاهده في كل تصرف من تصرفاتك وهذا مقام المشاهدة ،وهى أرفع من المراقبة لكنه قد يصعب

على الإنسان ويعسر عليه فلا أقل من أن يفزع إلى مراقبة الله جل وعلا ولهذا قال المؤلف رحمنا الله وإياه "تحل بدوام المراقبة لله تعالى في سرِّك وعلانيتك، وسر إلى ربك بين الخوف والرجاء، وأقبل عليه بكليتك، واملأ قلبك بمحبته ولسانك بذكره واستبشر بأحكامه وحكمه سبحانه."

قوله رحمنا الله وإياه سر إلى ربك بين الخوف و الرجاء هذان أمران عظيمان لابد أن يكونا بقلب المؤمن يخاف من ذنوبه ويرجو رحمة ربه جل وعلا فهو دائما سائرا إلى الله بهما ولا ينبغي أن يطغى أحدهما على الأخر فإنه إذا طغى الخوف لاستولى عليه اليأس ولو طغى الرجاء لاستهتر بأحكام الله جل وعلا وطغى عليه الشهوة والشبهة.

وينبغي للإنسان أن يُقبل على الله بكل جوارحه كما في الحديث "خشع لك سمعي وبصري ومخي وعظمي وما استقلت به قدمي" فكل جوارحك لله تبارك وتعالى ولكن أصل هذه الجوارح القلب ولهذا قال " املا قلبك بالمحبة ".

والمحبة هي أساس العمل فكل شئ لا تحبه فأنت في الحقيقة لا تعمل له وإنما تعمل إما حذرا أو خوفاً منه أو رابطاً لشيء غيره . والله وحده هو الذي يُطلب لذاته أو يُخاف لذاته وهو الذي يُهرب منه إليه "فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ" ففروا منه إليه فلا يمكن أن تتعامل مع الله إلا بالحب فأول حب يطرق قلبك هو حب الله عز وجل وهو أساس محبة من عاداه. وإليه ينتهي حب كل شئ وهو الذي إليه المنتهى واليه المرجع عز وجل

وإذا امتلأ القلب بالمحبة تحرك اللسان بالذكر وإذا امتلأ القلب بالمحبة استبشرت النفس بالأحكام (حُكمه أو حِكمه) أحكامه القدرية والشرعية

القدرية ما يقع للإنسان من مصائب فهو يستبشر بها فهو راض مُسلما بها عالماً بأن الله تبارك وتعالى قد كتبها وقدرها فلا محيد عنها ولا منصرف عنها.

أما أحكامه الشرعية فهو يعلم أن الله حكيم عليم وأنه ما حكم إلا بما فيه المصلحة فيُسلم أمره لله جل وعلا في جميع أوامره وفى جميع مناهيه عالماً بان الله تبارك وتعالى ما أمر إلا بما فيه المصلحة وما نهى إلا عما فيه المفسدة وهذا لا يمكن أن يكون من الإنسان إلا بالمحبة فإذا أحببت فهمت وتأملت وتدبرت واستولت محبة الله على قلبك فسارت جوارحك إلى

الله تبارك وتعالى بكل طمأنينة واستقرار واستبشار راضياً بأحكامه الشرعية والقدرية ثم قال رحمنا الله وإياه :

خامساً خفض الجناح ونبذ الخيلاء والكبرياء هذا من الأدواء وهو من الأمراض وهو من الأفعال المكروهة أو المحرمة والتي تعيق طالب العلم في سيره وربما تصرفه عن عبادة ربه إلى عبادة نفسه وشيطانه ولهذا قال إياك والخيلاء

والخيلاءهي الإعجاب بالنفس مع إظهار ذلك بالبدن يعنى أصلها في القلب وتظهر على الجوارح وقال فإنه نفاق وكبرياء يعنى تجمع بين أمرين نفاق لأن الإنسان في الحقيقة يظهر غير ما يبطن فإن قال قائل أوليس هو يبطن الإعجاب ويظهره نقول نعم لكنه في الحقيقة هو أعلم الناس بنفسه وأنه لا يمكن أن يصل إليه فى ظاهره . ولهذا قال الله عز وجل (إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَا هُمْ بِبَالِغِيهِ)

وأما الكبرياء فهو الترفع لهذا قال "واحذر داء الجبابرة الكبر وهو بطر الحق وغمط الناس" بطر الحق: ازدراءه وهو لا يحدث إلا مع الترفع والتعالي فالتكبر لا ينبغي إلا لله تبارك وتعالى الكبرياء إزار الله جل وعلا لا ينبغي لأحد أن ينازعه من نازعه عذبه

إزاره أو رداءه والله نسيت ولكن أحدهما فالعز والكبرياء رداءه أو إزاره فمن نازعه فإنما يعذب به.قال رحمنا الله وإياه " وهو مع الحرص والحسد أول ذنب عُصى الله به "

فالكبرياء مع الحرص على جمع الدنيا وحطامها والحرص على النفس أن تكون نافرة عن الناس مترفعة عليهم .وفى الحقيقة اسم للحسد لأن المتكبر لو يرى شخصاً أفضل منه فأنه يحمله ذلك على حسده وكراهية ما عنده من الخير وهذا الذي جعل إبليس يعصي الله تبارك وتعالى كما قال المؤلف أول ذنب عُصى الله به

ثم قال المؤلف رحمه الله " فلا تتطاول على معلمك ولا تستنكف عمن يفيدك ممن هو دونك، ولا تقصر في العمل بالعلم؛ فكل ذلك كبر وعنوان حرمان"

التطاول على المعلم يحصل من طالب العلم حينما يكون عنده معلومات يجد أن معلمه ليست معه لاشك أنه يوجد في الطلاب من هو عنده علم أكثر من شيخه في بعض الحالات لكن لا ينبغي له أن يتطاول على معلمه لأنه يستفيد من معلمه في أشياء أخرى

غير هذه المعلومات . فالعلم ليس مجرد معلومات بل العلم هدى و سمت وحقائق قد توجد في نفس الإنسان مع طول المراس وطول التتبع لكتب أهل العلم وهى لا توجد في الكتب ولكن توجد في صدور الرجال.

ولا ينبغي للإنسان أن يستنكف عمن يفيده ممن هو دونه.يعنى الفائدة مطلوبة سواء أكانت مع الصغير أو الكبير مع من هو أرفع منك علماً أو أقل منك فإنه ينبغي لك أن يكون قدوتك في ذلك موسى عليه الصلاة والسلام فهو لم يستنكف عن طلب العلم من الخضر مع أنه دونه بمراحل وموسى عليه السلام على قول بعض أهل العلم بعد نبينا صلوات الله عليه في الفضل والقول الأخر أن بعده إبراهيم وعلى كل حال أنه بعد نبينا من حيث كثرة الأتباع كما في الحديث الشريف "عرضت على الأمم ". معَ هذَا كلِّه بَحثَ عن هذَا الشّخص الذِي قيلَ لَهُ أنّهُ أَعلمُ مِنه و تبِعَه على أن يتعلّمَ مِنه ممَّا عُلِّم ولمْ يَستَنكِف - صلوات الله و سلامه عليه- على أن يَتعلّمَ مِمَّن دونه ، فعلينا أن نَجعلهُ نحن قُدوةً نَقتدِي بهِ فِي هذا الباب فإنه.

قال "ولا تقصر في العمل بالعلم؛ فكل ذلك كبر وعنوان حرمان" يعني أنّ عدمَ العملِ بالعِلم قد يكونُ مظهَر من مظاهِر التكبُّر ثُمّ قال "فعليك أن تلتصق بالأرض وأن تهضم نفسك وترغمها عند الإستشراق لكبرياء" يبدو واللهُ أَعلم أنّ المراد هنا الاستشراف وهذا خطأ مطبعي فإنّ الإستشراق هنا لا معنى لها وإنما الصواب الاستشراف

قوله "وترغمها عند الاستشراف لكبرياء، أو غطرسة، أو حب ظهور أو عجب؛ فإن هذه آفات العلم القاتلة له، قال وتحل بآداب النفس؛ من العفاف، والحلم، والصبر، والتواضع للحق ذليلاً له؛ مع الوقار والرزانة، متحملاً ذل التعلم لعزة العلم ".هذه آداب ينبغي لطالب العلم أن يتحلَّ بِها وهِيَ هضمُ النفس وارغامُها -متى ؟ -عند الاستشراف بكبرياءٍ أو غَطرسة أو حبِّ ظهورٍ أو عُجب لكن لا يعني ذلك أن تترك ما معك من الحق لغيرك أو أنّك تقبل القول الباطل لأنّ شيخك قاله هذا ليس أدبا من آداب العلم .

هضمُ النّفس معناها أن لا ترى لِنفسِكَ شيئا مما ترى أنَّ الناس يحمدونك عليه ، و هذا دائما يكون حينما تلاحظُ في نفسِك عُجبًا أو شيئًا مِن هذا الباب أو أنَّ لكَ فضل على أحدٍ منَ النّاس فتذكَّر أنَّ الفضل للهِ سبحانه وحده و أنّ كلَّ ما أنتَ فيه فهو من الله جلَّ و علَا ، فليسَ منكَ شيءٌ أبدًا ولا يعنِي هذا أيضاً أنَّ الإنسان لا يُحَدِّث بِما عمل ، التحديث بنعمة الله شيء و الكبرياء و الغطرَسة وحبُّ الظُّهُور أو العُجب شيءٌ آخر فلا يلتبِس عليكَ هذا بِهذا فإنَّ هذا لون و ذاك لون آخر ، قد يلتبس على بعض النّاس فرُبَّما تداخلت عليهِ و أظهَرَ الغَطرسة و حُبّ الظُّهُور و العُجب مِن باب التحدُّث بنعمةِ الله جلّ وعلَا و هذا خطأ ! أو يحدُث العكس وهو أنّهُ لا يتحدّث بنعمة الله جلّ وعلَا ظنًّا أنَّ هذا غطرسَة أو حبّ ظُهور..

"وعليكَ العفاف، والحلم، والصبر، والتواضع للحق ذليلاً له" ... نعم...التواضع للحق ، أنت لا تتواضع لِفلان ولَا لِعلَّان أنتَ تتواضع للعِلم ولِهذا تصبِر و تتحمَّل الذل لعِزّة العِلم فالذل في التعلُّم ليسَ مذمومًا لِأنّهُ يورِثُ العلم، والعلمُ أعَزُّ مطلوب ، وسوفَ يُعِزُّكَ العِلمُ بعدَ ذلكَ وإن تَذلَّلْتَ لَهُ في أوّلِ أَمرِكَ... ثم قال - رحمنا الله و إيّاه ...

سادسا القناعة والزهادة: اقنع بما آتاك الله عز وجل وتحل بالزهد، واعلم أن حقيقته الزهد بالحرام، والكف عن المشتبهات وعن التطلُّع إلى ما في أيدي الناس؛ فكن معتدلاً في معاشك بما لا يشينك، ولا ترد مواطن الذلة والهون القناعة و الزّهادة ،

القناعةُ معنَاهَا الرِّضا بِما قَسَم الله تباركَ وتعالَى لَك و الزهد الإعراض عن ما حرَّم الله جلّ وعلَا وعن ما لا منفعَةَ فيه مِنَ المباحات التِي قد تَضُرُّ بِدينِك أو بَدَنِك ، والقناعة لا تعني العجز أو الكَسل أو عَدم بذْل الجُهد القناعة تعنِي أنَّكَ إذا بَذَلتَ جُهدَك فيمَا أردت أن تبحثَ عنه فما قَسَم الله تبارك وتعالى فارضَ بِه ولا يعنِي ذلِكَ أنَّكَ تقعُد وتَقول ' أنا قنوع بما آتاني الله جلّ وعلَا ' وأنتَ لم تبحث ولم تعمَل و لم تحرِص و لم تبذُل -لا –! فهذا ليسَ بِقناعة وإنَّما هو عجز وكسل وخمول و رضا بالدون (نسأل الله العافية) وطالبُ العِلمِ لا ينبغِي لهُ أن يكُونَ راضِيًا بالدُّون .

و أمّا الزُّهد فهو خُلُقٌ عظِيم ينبَغي لِطالبِ العِلم أن يتَحلَّ بهِ لأنّهُ يَعصِمُهُ في الحَقيقة منَ الوُقُوع في المحَرَّمات كما أنّهُ يحُول بينهُ وبين الوُلوغ في كثير منَ الأُمور التي لا منفعَةَ فيها ممَّا يخوضُ فيهَا كثيرٌ منَ النَّاس.

نَكتفي بهذا القدر ، نسألُ الله بِمنِّهِ و كرمِه لنَا و لكُم التوفيقَ والسَّداد .. وصلّى الله على محمّد وعلى آله وصحبه أجمعين

معهد العلوم الشرعية العالمي